آليات خطاب المروي له في التراث النقدي عند العرب

إعـــداد

أ/ محمد محمود عبد القوي بداد

الملخـــص

جاء البحث تحت عنوان:" آليات خطاب المروي له في التراث النقدي عند العرب"، وقد هدف البحث إلى تحديد الأدوات والآليات التي استخدمها المؤلف السارد في خطابه مع المروي له. وقد كشف البحث عن تنوع الآليات التي اعتمد عليها النقاد العرب في سردهم النقدي، فقد ظهرت ثلاث آليات عندهم، هي آلية الخطاب القضائي، عند القاضي الجرجاني، والآمدي، وآلية الخطاب التعليمي، كما جاء عند ابن طبابطبا العلوي، وابن الأثير، والقرطاجني، وآلية الخطاب الدفاعي، كما جاء عند الصولي في دفاعه عن أبي تمام.

واعتمد البحث مفاهيم نظرية السرد، ونظرية التلقي، وتحليل الخطاب النقدي لتوضيح الأدوات والآليات التي استخدمها النقاد بوصفهم مؤلفين ساردين.

كلمات مفتاحية:

الخطاب النقدي – التراث النقدي العربي– المروي له– السرد

Summary

The research came under the title: "The Mechanisms of Al-Mirawi's Discourse in the Critical Heritage of the Arabs." The research revealed the diversity of the mechanisms that the Arab critics relied on in their critical narratives. Three mechanisms appeared in their view, namely, the judicial discourse mechanism, according to Judge Al-Jurjani, Al-Amidi, and the educational discourse mechanism, as stated by Ibn Tabataba Al-Alawi, Ibn Al-Atheer, Al-Qirtagani, and the discourse mechanism. Defensive, as stated by Al-Souli in his defense of Abu Tammam .

The research adopted the concepts of narrative theory, reception theory, and critical discourse analysis to clarify the tools and mechanisms used by critics as narrative authors.

Keywords: critical discourse - Arab Monetary- Heritage- irrigated him- narration

مقـدمــة

يُعنى هذا البحث بالكشف عن دور المروي له في انتهاج الناقد السارد لآليات خطابات بعينها، كما أنه يكشف –في الآن نفسه– عن تشكيل خطابه النقدي على نحو معين ستكشف عنه الدراسة وتستجليه.

وهنا تكشف القراءة الواعية عن آليات وظَّفها النقاد العرب القدماء في مخاطبة المروي له؛ إذ أتاح تنوع مظاهر السرد في نصوصهم نوعًا من رصد تلك الآليات السَّرديَّة سواء أكان هذا على سبيل الحكم والموازنة، كما ظهر في الخطاب النقدي السردي عند القاضي الجرجاني، والآمدي، أم كان على سبيل الشرح والتعليم، كما جاء عند ابن طباطبا العلوي، وابن الأثير، والقرطاجني، أم كان على سبيل الدفاع والانتصار، كما جاء عند الصولي في دفاعه عن أبي تمام.

لقد امتاز الخطابُ النقديُّ القديمُ بطابعٍ سرديٍّ متميزٍ، على مستوى لغتِه، ومضامينِه، وآلياتِ سرِده المستخدمةِ، وإنْ تباينتْ طبيعةُ هذا الخطابِ عند هؤلاء النقادِ طبقًا لمستوى نمطِ المروي له، والآلياتِ التي اتبعوها في مخاطبته. وهذا ما يكشف عنه مباحث الدراسة.

هــدف البحـث

هدف هذا البحث إلى تحديد الأدوات والآليات التي استخدمها المؤلف السارد في خطابه مع المروي له.

منهــج البحـث

يعتمد هذا البحث مفاهيم نظرية السرد، ونظرية التلقي، وتحليل الخطاب النقدي لتوضيح الآليات التي استخدمها النقاد.

مفهوم السارد:

السارد في اللغة "مَنْ يتابع الحديث، وكأن السارد هو من يقوم باستقصاء مجرى الحديث المتسلسل من نقطة ما، كالبداية مثلًا إلى نقطة أخرى، وهكذا، حتى

يتحقق مراده من النهاية"[١]. أو هو ذلك الشخص الذي يقوم بالسرد، كونه شاخصًا فيه، وهناك على الأقل ساردٌ واحدٌ لكل سرد ماثل في مستوى الحكي نفسه مع المسرود الذي يتلقى كلامه"[٢]. أما مفهوم السارد في الاصطلاح، فهو:" الناظم للشيء في نظام مبتدع من غير خلل"[٣]. وهناك من يعرفه بقوله: "السارد أو الراوي هو الذات المتخيلة التي يَكِلُ إليها الكاتب مهمة السرد، ويتخذ الراو أو السارد عدة أشكال، فقد يكون راويًا موضوعيًّا محايدًا يقوم بوظيفة الإخبار (سرد موضوعي)، أو يكون شخصيةً مشاركةً داخل السرد (سرد ذاتي داخلي)، أو يكون ساردًا خارجيًّا يخبر من قبل شخصيات القصة، وقد يكون السارد شاهدًا أو مستمعًا أو مشاركًا في الفعل، وقد لا يكون له أي دور في السرد"[٤].

وعلى هذا، فثمة علاقة واضحة بين السارد والمروي له؛ إذ إنْ "داخل كل حكي توجد وظيفة كبرى متبادلة قائمة بين مانح ومستفيد"[٥]. وإذا كان "تودوروف" يعرف السارد بأنه: "الذات الفاعلة لعملية التلفظ الذي ينظم عمليات الوصف أمام الآخرين"[٦]، فإن العلاقة بين السادر (=الراوي) والمسرود له (= المروي له) علاقة وثيقة؛ حيث تُعدُّ عملية السرد "شكلًا من أشكال التواصل القائم –وجوبًا– على ثنائية الباث والمتقبل"[٧].

---

(١) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م، جـ٢/٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٩.

(٣) القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان (ب – ت)، مادة (سرد).

(٤) تقنيات السرد وأشكاله عند عبد الملك مرتاض كتاب في نظرية الرواية أنموذجًا: ص٤٧.

(٥) التحليل البنيوي للسرد: رولان بارت، ترجمة: حسن بحراوي وآخرين، مجلة: طرائف تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢، ص٢٦.

(٦) مقولات السرد الأدبي: تزفتان تودوروف، ترجمة: الحسين سحيان، منشورات اتحاد الكتاب، المغرب، ط١، ١٩٩٢، ص٦٤.

(٧) طرائق تحليل القصة: الصادق قسومة، دار الخبوب للنشر، تونس، ٢٠٠٠م، ص١٣٧.

المبحث الأول: الخطاب القضائي:

تظهر تلك الآلية بوضوح عند ناقدين كبيرين من نقاد العربية، هما: القاضي الجرجاني في كتابه: (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، والآمدي في كتابه: (الموازنة).

لقد اتضحت آلية الخطاب القضائي في حوار المروي له الحكم أو القاضي المتخيل، وهو يتوجه بأسئلته إلى المؤلف السارد عند الجرجاني، فعند تعرضه لقضية الشعراء القدامى، والمحدثين وأيهم أفضل؟ نلحظ أن الجرجاني في سرده لبعض آرائه في هذه القضية، يقدم تلك الآراء في حالة حوارية، طرفها السائل المروي له، وهو هنا قاضٍ أو حكم متخيل، وطرفها المجيب هو المؤلف الناقد السارد نفسه؛ إذ يقول: "فإن قلتَ: فما بالُ المتقدمين خُصُّوا بمتانةِ الكلام وجزالةِ المنطقِ، وفخامةِ الشعر، حتى إنَّ أَعْلَمَنا باللغة وأكثرَنا رِوايةً للغريب لو حفظ كُلَّ ما ضَمَّت الدواوينُ المرويَّة، والكتب المصنفة من شعر فَحْل، وخبر فصيح، ولفظ رائع – ونحن نعلم أن معظم هذه اللغة مضبوطٌ مرويٌّ، وجُلَّ الغريب محفوظ منقول – ثم أعانه الله بأصحِّ طبع وأثقب ذهن وأنفذ قريحة، ثم حاول أن يقول قصيدة، أو يَعرضَ بيتًا يقارب شعر امرئ القيس وزهير، في فخامته وقوة أَسْره، وصلابة مُعْجَمِه لوجده أبعد من العَيُّوق[1] مُتَناوِلًا، وأصعبَ من الكبريت الأحمر مطلبًا؟"[2].

وإزاء هذا السؤال الذي يمثل استجوابا من المروي له الحكم أو القاضي، نجد آلية الخطاب القضائي تتحقق في إجابة الناقد السارد المؤلف، يقول الجرجاني في إجابته عن هذا الاستجواب: "قلت: أحلتُك على ما قالت العلماء في حمَّاد، وخلف، وابن رَأْب، وأضرابِهم، ممن نحلَ القدماء شعرَه، فاندمج في أثناء شعرهم، وغاب في أَضْعافه، وصَعُب على أهل العناية إفرادُه، وتعسّر مع شدة الصعوبة، حتى تكلّف فَلْي الدواوين، واستقراءُ القصائد، فنُفِي منها ما لعلّه أمتن وأفخم، وأجمع لوجوه

(١) العَيُّوق: نجمُ أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م. ص ٢٣ – ٢٤.

الجَوْدة، وأسباب الاختيار مما أثبت وقُبِل، وهؤلاء مُحدثون حضريّون، وفي العصر الذي فسد فيه اللسان، واختلطت اللغة، وحُظِر الاحتجاجُ بالشعر، وانقضى مَنْ جعله الرواة ساقة الشعراء"(١).

لقد أفصح الجرجاني هنا عن تفصيل شارح شرع يشبه خطابه، ويكشف لمحدثه أطرافًا منه، عبر اللفظة، والكلمة والتدليل عليهما.

إن ناقدًا كا القاضي الجرجاني لم يُلْقِ الكلام على عواهنه، وإنما أخذ يتتبع أغراضه تلك، ويطرحها على حلقات البحث، والمناقشة، وكأننا في درس لغوي بلاغيٍّ حديث؛ إذ يشير إلى (التناص) بمفهومه العصري تارة، ثم يحيل إلى اللغة والبلاغة تارة أخرى، في أسلوبٍ حجاجٍ بارع، شديد الإقناع والإفهام.

ثم يتوجّه بخطابه إلى المروي له الحكم القاضي العادل، طالبًا منه الإنصاف في الحكم، وألا يظن به الانحراف والتحامل على المتقدمين من الشعراء؛ فيقول: "وليس يجب إذا رأيتني أمدح مُحْدَثًا أو أذكرُ محاسن حَضَريَ أَنْ تظن بي الانحرافَ عن متقدم، أو تَنْسُبني إلى الغَضِّ من بدويّ، بل يجب أنْ تنظر مَغْزاي فيه، وأنْ تكشف عن مقصدي منه، ثم تحكم عليَّ حكمَ المنصف المتثبت، وتقضي قضاءَ المُقْسِط المتوقّف"(٢).

والجرجاني يستخدم هنا ضمير المتكلم في قوله: "ولست أفضلُ / إلا أنني أرى / وأجده". هنا يعرض رأيه في عدم تفضيل الشعراء بعضهم على بعض قياسًا على معيار الزمن والأسبقية، ثم يعود إلى مخاطبة المروي له، فبعض أن عرض رأيه في القضية، ينتقل بخطابه إلى المروي له ويترك له الحكم بقوله: "فإذا استكشفت عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي ..."(٣).

ويؤكد الآمدي حياده في الموازنة بقوله: "ولستُ أحِبُّ اَنْ أطلق القولَ بأيهما أشعر عندي؛ لتباين الناس في العلم، واختلاف مذاهبهم في الشعر، ولا أرى لأحد أنْ

(١) المصددر السابق: ص ٢٤.
(٢) نفسه: ص ٢٢.
(٣) المصدر السابق: ص ٢٣.

يفعل ذلك فَيَسْتَهدِفَ لذم أحد الفريقين، لأنَّ الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر في امرئ القيس، والنابغة، وزُهير، والأعشى، ولا في جرير، والفرزدق، والأخطل، ولا في بشَّار، ومَرْوَان، ولا في ابي نُوَاس، وأبي العتاهية، ومُسْلم؛ لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه"(١).

ولعلنا نلحظ، كيف الآمدي قد أعلن –صراحةً– عن منهجٍ واضحٍ في موازنته، توقفنا عليه بالتفصيل حين قراءتنا، وأكد ذلك موضوعية علمية غير منحازة سار عليها ناقدنا القديم.

ولقد بدا هذا جليًّا حين كشف موقفه من الشاعرين، وأنه لا يفضل أحدهما على الآخر، ولكنه يترك الأمر للمروي له القاضي الحكم؛ إذْ يقول: "أما أنا فلست أُفْصِح بتفضيل أحدهما على الآخر، ولكني أوازِنُ بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن، والقافية، وإعراب القافية، وبين مَعْنَى ومَعْنَى، فأقول: أيهما أشْعَر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احكُمْ أنت حينئذٍ جملة ما لكل واحد منهما إذا أَحَطْتَ عِلمًا بالجيد والرديء"(٢).

المبحث الثاني: الخطاب التعليمي الشارح:

في الخطاب التعليمي الشارح يستخدم المؤلف السارد في مخاطباته للمروي له المتعلم آليات معينة، اختلفت من ناقدٍ إلى آخر، من النقاد الثلاثة؛ فيستخدم ابن طباطبا العلوي آلية الحوار التعليمي، الذي يبدأ بإجابة سؤال سئل عنه من أحد الأشخاص الذين يجهلون صناعة الشعر، ثم يجيب عنه في الكتاب، بل إن الكتاب كله كان إجابة عن هذا السؤال، مسترقًا فيه سمع تلميذه، وذلك من خلال العبارات الدعائية التي افتتح بها هذا الكتاب، فيقول: "وفقك الله للصواب، وأعانك عليه،

(١) الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي البصري، ت (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت، ط (٥)، ١٩٨٧م: ص١١.

(٢) نفسه، ص١٢.

وجنبك الخطأ وباعدك منه، وأدام أنس الآداب باصطفائك له، واقتنائك لها"[١].

غير أن ابن الأثير رأى أن الشعر صناعة معنوية ولفظية، لذا اختلف خطابه إلى حدٍّ ما مع من يحاكيه عن ابن طَبَاطَبا، وإن كانت صورة المروي لهم عند الاثنين واحدة؛ فابن الأثير يخاطب أي شخص يريد أن يتعلم هذه الصناعة دون أن يوجه له سؤال.

أما حازم القرطاجني فقد رأى أنَّ الشعرَ علمٌ؛ لذا حرص على أن يؤطر له: المناهج اللازمة، فوضع كل ما يلزم لهذا العلم على هيئة منهج مختص بذاته، "منهج لتعلم المعاني، ومنهج لتعلم التشبيهات، وآخر للتعرف على ماهية الشعر وحقيقته"[٢].

ومع ذلك فقد تشابه الجميع في استخدام الضمائر والأفعال، وإن كان ابن طباطبا قد حرص –بصورة أكبر– على استخدام العبارات الدعائية، وقد ظهر ذلك كثيرا عندما كان يخاطب المتلقي، أو الناقد، وذلك ليعلمه كيف يتلقى الشعر، وينقده، هنالك يقول: "وعيار الشعر أن يُورَدَ على الفهم الثاقب، فما قبله واصطفاه فهو وافٍ، وما مجَّه ونفاه، فهو ناقص، والعلة في قبول الفهم الناقد للشعر الحسن الذي يرد عليه، ونفيه للقبيح منه، واهتزازه لما يقبله، وتكرُّهَهُ لما ينفيه"[٣].

ويكمل ابن طباطبا كلامه في "عيار الشعر" راصدًا بعضًا من معايير نقده، مخاطبًا مرويًّا له ناقدًا محددًّا له بعض الأدوات، والمعايير النقدية المحددة للشعر الجيد، فيقول: "فإذا ورد عليك الشعرُ اللطيف المعنى، الحلو اللفظ، التامُّ البيان، المعتدلُ الوزن، مازحَ الروحَ ولاءم الفهمَ، وكان أنفَذ من نفث السمر، وأخفى دبيبًا من الرقى، وأشد إطرابًا من الغناء ... وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ من البيان لسحرًا"[٤].

---

(١) عيار الشعر: محمد أحمد بن طباطبا العَلوي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م): ص ١٠٧ .

(٢) منهاج البلغاء وسَراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م: ص ٩٤.

(٣) نفسه: ص ٢٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٢.

وهذا يعود بنا في غير مرة إلى ابن الأثير، لقد رأى ابن الأثير أنَّ الشعر صناعة لفظية ومعنوية، ولذلك اعتمد في خطابه التعليمي الشارح إلى المروي له المتعلم عدَّةَ آليات، تنوعت في طرق الوصول إلى المروي له.

ومن تلك الآليات التي وظَّفها ابن الأثير في خطابه للمروي له: التنوع في استخدام الضمائر، والأساليب الإنشائية، والخبرية، ومن ذلك قوله: "فانظُرْ أيُّها المتأمِّلُ كيف جئتُ بالخبر النبويّ، وجعلته شاهدًا على هذا الموضع، ولا يمكنُ أن يُحْتَجَّ في مثل ذلك إلا بمثل هذا الاحتجاج"(١).

ومن آليات الخطاب التعليمي الشارح عند ابن الأثير، آلية (ضَرْب الأمثلة)، وهي أن يورد (= الراوي السارد) مجموعة من الأمثلة التعليمية الشارحة، وذلك لتقريب الفهم للمروي له المتعلم، ومن نماذج ذلك قوله: "ولنضرب لك مثالًا نوضِّحه"(٢)، إضافة إلى ذلك ما قام به من إيراد أمثلة متنوعة من القرآن، والحديث، والشعر، في سياق حديثه عن باب (التوسع في الكلام)؛ إذْ يقول: "وأمَّا الضَّربُ الآخرُ من التوسُّع، فإنَّه يَرِدُ على غير وجه الإضافة، وَهُوَ حسَنٌ لا عَيْب فيه، وقَدْ وَرد في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾(٣)، وهنا جاءت نسبة القول إلى السماء والأرض من باب التوسع؛ لأنهما جماد، والنطقُ إنما هو للإنسان"(٤).

ولعلنا نشاهد هذا نفسه عند علمٍ آخر، هو حازم القرطاجني، الذي أبان عن رأيٍ يتجلى في: أنَّ الشعر علمٌ له قوانينه ومبادئه، وهذه الرؤية لدى حازم، جعلته يؤسس كتابه: "منهاج البلغاء وسَراج الأدباء" وَفْقَ آلية تعليمية واضحة، على أربعة أقسام، وقد أشار محقق الكتاب إلى أنَّ القسم الأول من كتاب حازم مفقود، لكنّه استنتج من كلام حازم، ومن بعض المصادر الأخرى موضوع هذا القسم؛ فقد ذهب

---

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م: جـ١/٥٩.

(٢) نفسه: جـ٢/٧٣.

(٣) سورة فصلت: آية (١١).

(٤) نفسه: جـ٢/٨٠ – ٨١.

محقق الكتاب إلى أن القسم الأول؛ "تناول بالبحث القولَ وأجزاءَه، والأداءَ وطرقَه، والأثَر الذي يحصل للسامعين عند صدور الكلام؛ فالسُبْكي في كتاب عروس الأفراح، والزركشي في كتاب البرهان، يؤكدان الموضوع المشار إليه، والطريق التي سلكها حازم في تناوله لهذا القسم"(١).

المبحث الثالث: الخطاب الدفاعي:

وتتنوع آليات الخطاب الدفاعي بتنوع أصحابه، وقضايا عصرهم، وواقعهم. وأول ما يطالعنا هنا، هو أبو بكر الصولي، وهذا ما يدعونا إلى الوقوف عند ملامح هذا الخطاب في آثاره.

ولعل هذا يكشف أشكالًا من الاختلاف عن أقرانه من النقاد، الذين تناولتهم الدراسة وكشفت عن أصول هذا الفن في كتاباتهم، وإن تشابهت تلك الكتابات فيما بينها في استخدام الأفعال والضمائر، والعبارات الدعائية، فالصولي يبدأ كتابه برسالة موجهة إلى مرسل إليه (= مرديٍّ له / عليه) متشابهٍ معه في الميول والأهداف، والصولي يحاول إرضاءه؛ لذا فالصولي لا يتخذ موقف الوسيط، بل كان مدافعًا عن أبي تمام، مهاجمًا كُلَّ من عابه، وهذا ما يرضي المروي له.

وقد أوضح الصولي هنا، أن سبب تأليفه "أخبار أبي تمام" إنما يرجع إلى ما رآه ولاحظه من رغبةٍ عند أبي الليث مزاحم بن فاتك، تتعلق بإتباع الصولي شعر أبي تمام بالشرح والإعراب والفهم، والدفاع عنه ضد الطاعنين عليه؛ هنالك يقول الصولي، كاشفًا عن رغبة أبي الليث: "ثم أَرتْني عَيْنُ الرأي بقيَّةً في نفسِكَ منه، لم يُطْلِعْها لي لسانُكَ، إمَّا كراهَةً منك لتَعبِي، أوْ إشفاقًا من الزيادةِ في شُغَلي ... فسألتُكَ إبانتَه وتكليفي جميع ما تُريد منه، فعرّفْتَني أَنَّ تكميلَ ذلك لك، وبلوغي فيه أقصى إرادتك، إتْباعي أخبارَه بعملِ شعرِه كلِّهِ مُعَرَّبًا مُفسَّرًا، حتى لا يشِذَّ منه حرفٌ، ولا يَعْمُضَ منه معنًى ولا ينَبُوَ عنه فهْمٌ، ولا يَمُجَّه سمْعٌ"(٢).

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ص ٩٤.

(٢)أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق: خليل محمود عساكر، وآخرين، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط (١)، (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م): ص ٥، ٦.

ويبدو من رغبة أبي الليث في تتبع الصولي أخبار أبي تمام، بالشرح والإعراب والتفسير، أنَّ أبا الليث أراد تقريب فهم أشعار أبي تمام وتفسيرها؛ وبيان معانيها، وهذا الإجراء المطلوب في فهم شعر أبي تمام بالشرح والتفسير، يُعدُّ أحد أبعاد آلية الدفاع عن شعر أبي تمام ضد الطاعنين عليه، لأن الصولي نفسه عندما صنف الطاعنين على شعر أبي تمام، أثبت أنَّ منهم من انغلق عليه فهم أشعار أبي تمام، وبَعُدَ عنه معانيها ومراماتها؛ يقول الصولي واصفًا حالَ هؤلاء الطاعنين على شعر أبي تمام، وموضحًا أن ذلك راجع لجهلهم به: "ولم يعرفوا ما كان يضبُطُه ويَقُومُ به، وقصَّروا فيه فجهلوه، وفادَوْه كما قال الله جل وعز: ﴿بَلْ كذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[1]، وكما قيل: الإنسانُ عدُّو ما جهِل، ومَنْ جَهِل شيْئًا عاداه، وفرَّ العالِمُ منهم من قوله إذا سُئل أَنْ يُقْرَأَ عليه شعُر بشارٍ وأبي نواسٍ ومسلمٍ وأبي تمام، وغيرهم، مِنْ "لا أحْسِنُ" إلى الطعنِ، وخاصة على أبي تمام، لأنه أقْرَبُهم عهدًا وأصعُبهم شعرًا"[2].

ومن نماذج الخطاب الدفاعي ذلك الهجوم على الطاعنين في شعر أبي تمام، ووصفهم بالعجز عن مهمة وعدم جسارتهم في مجارته؛ حين يقول: "وإنَّ أحدًا منهم لم يجسُر أَنْ ينشِد قصيدةً من شعر هذا الرجل ضامنًا للقيام بما فيها، فضلًا عن إيراد أخباره، والاحتجاج لما عِيب عليه... ليُعلَمَ عُلُّوه في الشعر، وتقدُّمه في الفهم"[3].

نتائــج الدراســة

أولا: لقد حددتْ الدراسةُ عدةَ آلياتٍ وظَّفها هؤلاء النقادُ في مخاطبةِ المرويِّ له؛ فقد أتاحَ تنوعُ مظاهرِ السردِ في نصوصهم نوعًا من رصدِ الآلياتِ السَّرديَّةِ عندهم، سواء أكان هذا النقدُ على سبيلِ الحكم والموازنة كما ظهر في خطاب القاضي الجرجاني، والآمدي، أم كان على سبيل الشرحِ والتعليمِ كما جاء عند ابن طبابطبا العلوي، وابن الأثير، والقرطاجني، أم كان على سبيل الدفاع والانتصار كما جاء عند الصولي في

(١) سورة يونس: آية ٣٩.

(٢)أخبار أبي تمام: ص ١٤ – ١٥.

(٣) المصدر السابق: ص١٢.

دفاعه عن أبي تمام.

ثانيا: لقد ظهر جليًّا أن النقد العربي القديم يُعدُّ – بحقٍ– المرحلةَ الحقيقيةَ التي عبَّرت عن مفهوم النقد السردي، واتضح ذلك من خلال طريقة هؤلاء النقاد في سرد نقودهم المتعلقة بالقضايا الأدبية والآراء النقدية القائمة على قضايا الشعر والنثر.

ثالثا: سعى النقادُ العربُ القدماءُ إلى توظيفِ اللغةِ المحكيةِ بطريقةٍ سرديَّةٍ؛ فالناقدُ العربيُّ القديمُ هو الساردُ الذي يحكي، ويشرح، ويلخص، ويحاور، ويحاجج، ويناظر، مستخدمًا في ذلك أفعال الحكي، ومعجم السرديَّات، مثل:(قلت لك / فاعرف / فاعلم / زعموا / قالوا / ترى معي / رأيت / شاهدت").

رابعا: على مستوى توظيف الأفعال، فإنَّ النقاد العرب القدماء كانوا، يستخدمون أفعالًا حكائية، أو ذات طابع لغويٍّ سرديٍّ، ومن ذلك: (اعلم / اعرف / حكى / زعم / إلخ..). وكلها تحيل إلى معجمٍ سردي خالص.

المصـــادر والمراجـــع

- **القرآن الكريم**

١. أخبار أبي تمام: أبو بكر محمد بن يحيى الصولي (ت ٣٣٦هـ)، تحقيق: خليل محمود عساكر، وآخرين، مطبعة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط (١)، (١٣٥٦هـ – ١٩٣٧م).

٢. التحليل البنيوي للسرد: رولان بارت، ترجمة: حسن بحراوي وآخرين، مجلة: طرائف تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط١، ١٩٩٢.

٣. تقنيات السرد وأشكاله عند عبد الملك مرتاض كتاب في نظرية الرواية أنموذجًا.

٤. طرائق تحليل القصة: الصادق قسومة، دار الخبوب للنشر، تونس، ٢٠٠٠م.

٥. عيار الشعر: محمد أحمد بن طباطبا العَلوي (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط (١)، (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م).

٦. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.

٧. القاموس المحيط: الفيروزآبادي، دار الجيل، بيروت، لبنان (ب – ت)، مادة (سرد).

٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٩. مقولات السرد الأدبي: تزفتان تودوروف، ترجمة: الحسين سحيان، منشورات اتحاد الكتاب، المغرب، ط١، ١٩٩٢.

١٠. منهاج البلغاء وسَراج الأدباء: أبو الحسن حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٨٦م.

١١. الموازنة بين أبي تمام والبحتري: أبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى الآمدي البصري، ت (٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، بيروت، ط (٥)، ١٩٨٧م.
١٢. الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.